

إرشاد السامع والخطيب
إلى سنية
رفع اليدين في الدعاء للسميع المجيب

تأليف
حسن بن علي السقاف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ،
ورضوان الله تعالى عن صحابته المتقين .

أما بعد :

فإنَّ من الأمور المستحبات المسنونات رفع المسلم يديه في الدعاء ومسحهما بوجهه عند الفراغ منه وهذا مقرر معروف ومشهور ، إلا أنني رأيت بعض الخطباء لا يرفعون أيديهم أثناء الدعاء في آخر الخطبة الثانية فاستغربت ذلك منهم وسألت أحدهم : لماذا لا ترفع يديك في الدعاء أثناء الخطبة ؟ ! فقال : « هذه هي السنة ، ويقال إنَّ في ذلك حديث صحيح » !! وسألت آخر : فقال : « أصارحك بأنَّ هذا ما أرى بعض الخطباء يفعلونه فأفعلُ مثلهم وأنا لا أعرف الدليل على ذلك » !! فأحبيتُ أن أكتب هذه الأسطر أبين فيها جليَّة المسألة والله تعالى هو المعين ؛ فأقول :

لقد وردت أحاديث كثيرة جداً في ثبوت رفع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يديه في الدعاء في جميع الأحيان ذكر بعضها الإمام البخاري في « جزء رفع اليدين » وفي « الأدب المفرد » والحافظ المنذري في جزءٍ أفردهُ فيها ، وسرد منها الإمام النووي في « الأذكار » وفي « شرح المذهب » جملة وافرة (أنظر المجموع شرح المذهب ٥٠٧/٣) .

واحتمج من ترك رفع اليدين بحديث سيدنا أنس رضي الله عنه قال : « كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يرفع يديه في شيء من دعائه إلا في الاستسقاء ؛ وإنه يرفع حتى يُرى بياض إبطيه » رواه البخاري في صحيحه (٥١٧/٢ فتح) .

وهذا الحديث مُعارضٌ للأحاديث الكثيرة الصحيحة التي فيها رفع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يديه في غير الاستسقاء !! وقد صرَّح بذلك الحافظ ابن حجر في شرح البخاري فقال في « الفتح » (٥١٧/٢) ما نصه :

(قوله « إلا في الاستسقاء » ظاهره نفي الرفع في كل دعاء غير الاستسقاء ، وهو معارض بالأحاديث الثابتة بالرفع في غير الاستسقاء وقد تقدّم أنها كثيرة ، وقد أفردها المصنّف « يعني البخاري » بترجمة في كتاب الدعوات وساق فيها عدة أحاديث ، فذهب بعضهم إلى أنَّ العمل بها أولى ، وحَمَلَ حديث أنس على نفي رؤيته ، وذلك لا يستلزم نفي رؤية غيره . وذهب

آخرون إلى تأويل حديث أنس المذكور لأجل الجمع بأن يُحمل النفي على صفة مخصوصة ؛ إما الرفع البليغ فيدلُّ عليه قوله « حتى يُرى بياض إبطيه » ويؤيده أن غالب الأحاديث التي وردت في رفع اليدين في الدعاء إنما المراد به مد اليدين وبسطهما عند الدعاء ، وكأنه عند الاستسقاء مع ذلك زاد فرفعهما إلى جهة وجهه حتى حاذتاه ؛ وبه حينئذٍ يُرى بياض إبطيه ، وإما صفة اليدين في ذلك فلما رواه مسلم من رواية ثابت عن أنس : « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استسقى فأشار بظهر كفيه إلى السماء » ولأبي داود من حديث أنس أيضاً : « كان يستسقي هكذا ومد يديه - وجعل بطونهما مما يلي الأرض - حتى رأيتُ بياض إبطيه » قال النووي : قال العلماء : السنة في كل دعاء لرفع البلاء أن يرفع يديه جاعلاً ظهور كفيه إلى السماء ، وإذا دعا بسؤال شيء وتحصيله أن يجعل كفيه إلى السماء انتهى .

وقال غيره : الحكمة في الإشارة بظهور الكفين في الاستسقاء دون غيره للتفاؤل بتقلب الحال ظهراً لبطن كما قيل في تحويل الرداء ، أو هو إشارة إلى صفة المسؤول وهو نزول السحاب إلى الأرض) انتهى من « الفتح » .

أقول : قال الإمام البخاري في كتاب « الدعوات » من « صحيحه » (١٤١ / ١) :

٢٣ - باب رفع الأيدي في الدعاء : وقال أبو موسى الأشعري : دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم رفع يديه ورأيت بياض إبطيه . وقال ابن عمر : رفع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يديه وقال : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد . قال أبو عبد الله : وقال الأويسى : حدثني محمد عن جعفر بن سعيد وشريك سمعا أنساً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه) .

قال الحافظ ابن حجر في شرحه في « الفتح » (١٤٢ / ١) :

(في الحديث الأول ردُّ على من قال لا يرفع كذا إلا في الاستسقاء ، بل فيه وفي الذي بعده ردُّ على من قال لا يرفع اليدين في الدعاء غير الاستسقاء أصلاً ؛ وتمسك بحديث أنس « لم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يرفع يديه في شيء من دعائه إلا في الاستسقاء » وهو صحيح ، لكن جميع بينه وبين أحاديث الباب وما في معناها بأنَّ المنفي صفة خاصة لا أصل الرفع وقد أشرتُ إلى ذلك في أبواب الاستسقاء ؛ وحاصله أن الرفع في الاستسقاء يخالف غيره إما بالمبالغة إلى أن تصير اليدين في حذو الوجه مثلاً وفي الدعاء إلى حذو المنكبين ، ولا يُعكَّرُ على ذلك أنه ثبت في كل منهما « حتى يُرى بياض إبطيه » بل يجمع بأن تكون رؤية البياض في الاستسقاء أبلغ منهما في

غيره ، وإما أن الكفين في الاستسقاء يليان الأرض وفي الدعاء يليان السماء . قال المنذري :
وبتقدير تعذر الجمع فجانب الإثبات أرجح . قلت : ولا سيما مع كثرة الأحاديث الواردة في
ذلك^(١) ، فإن فيه أحاديث كثيرة أفردتها المنذري في جزء ؛ سرد منها النووي في « الأذكار »
وفي « شرح المذهب » جملة . وعقد لها البخاري أيضا في « الأدب المفرد » باباً ذكر فيه :

حديث أبي هريرة : قدم الطفيل بن عمرو على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : إنَّ
دوساً عصت فادع الله عليها ، فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال : « اللهم اهد دوساً » وهو في
الصحيحين دون قوله « ورفع يديه » .

وحديث جابر أنَّ الطفيل بن عمرو هاجر . فذكر قصة الرجل الذي هاجر معه وفيه : فقال
النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « اللهم وليديه فاغفر ورفع يديه » وسنده صحيح ، وأخرجه
مسلم .

وحديث عائشة أنها رأت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعو رافعاً يديه يقول : « اللهم
إنما أنا بشر » الحديث وهو صحيح الإسناد .

ومن الأحاديث الصحيحة في ذلك ما أخرجه المصنف (يعني البخاري) في « جزء رفع
اليدين » : « رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم رافعاً يديه يدعو لعثمان »
ولمسلم من حديث عبد الرحمن بن سمرة في قصة الكسوف فأنتهيت إلى النبي صلى الله عليه
وآله وسلم وهو رافع يديه يدعو .

وعنده في حديث عائشة في الكسوف أيضاً : ثمَّ رفع يديه يدعو .
وفي حديثهما عنده في دعائه لأهل البقيع فرفع يديه ثلاث مرات . الحديث .
ومن حديث أبي هريرة الطويل في فتح مكة : فرفع يديه وجعل يدعو .
وفي الصحيحين من حديث أبي حميد في قصة ابن اللُّثبية ثمَّ رفع يديه حتى رأيت عفرة إبطيه
يقول : « اللهم هل بلغت » .

ومن حديث عبدالله بن عمرو : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكر قول إبراهيم

(١) فيكون هذا الحديث مما رواه سيدنا أنس رضي الله تعالى عنه في أواخر حياته وهو مجتمع القوة ؛ والدليل
على تغيير حفظه أو ذاكرته رضي الله عنه آخر حياته ما في « صحيح مسلم » (١ / ١٨٤) : إنَّ معبد بن هلال
العنزى قال في آخر حديث الشفاعة : « فأشهد على الحسن أنه حدثنا به أنه سمع أنس بن مالك أراه قال :
قبل عشرين سنة وهو يومئذٍ جميع » . قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرحه (٣ / ٦٤) : « معناه مجتمع
القوة والحفظ » .

وعيسى رفع يديه وقال : « اللهم أمتي » .

وفي حديث عمر : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا نزل عليه الوحي يُسمع عند وجهه كدوي النحل ، فأنزل الله عليه يوماً ؛ ثم سُرِّي عنه ؛ فاستقبل القبلة ورفع يديه ودعا ؛ الحديث . أخرجه الترمذي واللفظ له والنسائي والحاكم .
وفي حديث أسامة : كنتُ رَدَفَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعرفات فرفع يديه يدعو ؛ فمالت به ناقته فسقط خطامها ؛ فتناوله بإحدى يديه وهو رافع اليد الأخرى . أخرجه النسائي بسند جيد .

وفي حديث قيس بن سعد عند أبي داود : ثم رفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يديه وهو يقول : « اللهم صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادہ » الحديث . وسنده جيد .
والأحاديث في ذلك كثيرة) انتهى ما أردنا نقله من « الفتح » .

فتبين من هذه الأحاديث والأقوال أن الحديث الذي فيه أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يرفع يديه إلا في الاستسقاء حديث لا يُعمل بظاهره لمعارضته الأحاديث الصحيحة الكثيرة له فهو من باب الشاذ المردود ، وقد جاء عن سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « إذا مدَّ يديه في الدعاء لم يردَّهما حتى يمسح بهما وجهه » رواه أبو داود (٧٩/٢) والترمذي (٤٦٤/٥ برقم ٣٣٨٦) وقال : « حديث صحيح غريب » والحاكم في المستدرک (٥٣٦/١) وحسنه الحافظ ابن حجر في « بلوغ المرام » في باب الذكر والدعاء حديث رقم (١٦) .

وقال العلامة المحدث المناوي في « فيض القدير » (٣٦٩/١) :

« وفيه ردُّ على ابن عبد السلام في قوله : لا يمسح وجهه إلا جاهل ، ومن ثمَّ قيل هي هفوة » .
وبهذا البيان يتبين أنه يُسنُّ للخطيب أن يرفع يديه وهو يدعو في الخطبة سواء في الجمعة أو في العيد أو في الاستسقاء أو في غير ذلك ، وعليه أن يشعر بالتذلل والانكسار في دعائه ورفع يديه لله تعالى لأنَّ في ترك الرفع نوع من الكبر أعاذنا الله تعالى من ذلك ؛ لا سيما ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « إن الله تعالى حييٌّ كريمٌ يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبين »^(٢) رواه الترمذي (٣٦٢٧) واللفظ له ؛ وقال : حسن غريب ، وأبو داود (١٤٧٤) وغيرهما .

والحمد لله رب العالمين .

(٢) ثمَّ تبين لي أن هذا ليس بحديث بل هو قول منقول من التوراة وقد بينت ذلك موضعاً في تحقيق ونقد كتاب « العلو » للذهبي تخريج النص رقم (٩٩) .